المحاضرة 07:المـــــــذهب المالكي(01)

الهدف: التعريف بإمام المذهب، وأشهر شيوخه وتلاميذه ،والمراحل التاريخية التي مرّ بها المذهب في نشأته وتكوينه.

المذهب المالكي هو ثاني المذاهب الإسلامية المعتمدة في الفقه الإسلامي ؛من حيث الترتيب الزمني, وينسب إلى عالم المدينة, وإمام دار الهجرة: مالك ابن أنس الأصبحي ، وهو من أصح المذاهب وأعدلها في العقيدة والأحكام.

ترجمة إمام المذهب

هو: أبو عبد االله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن غيمان بن ُخثيل بن عمرو بن الحارث -ذو َأصبح- الحميري, الأصبحي المدني ،وأمه هي: عالية بنت شريك ّ الأزدية.

ولد على الأصح: سنة ثلاث وتسعين للهجرة (٩٣هـ,)في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان, بقرية ذي المروة على بعد ثمانية ُبُرد ً١٦ كيلا ً تقريبا(شمالي المدينة ّ النبوية)

نشأ الإمام مالك في كنف أسرة ٍ كريمة, مشهورة بالعلم, وفي ظل بيت عرف بالاشتغال بالحديث, واستطلاع آثار السلف, وفتاوى الصحابة ،فجده مالك بن أبي عامر (ت٩٤هـ) من كبار ّ التابعين وعلمائهم,روى عن عمر, وعثمان, وعائشة وروى عنه بنوه, ومنهم: أنس أبو مالك. وعمه أبو سهيل نافع بن مالك (ت١٤٠هـ)من شيوخ الإمام ابن شهاب الزهري, ويبدو أ ن أباه أنس بن مالك لم يكن من المشتغلين بالحديث، كما كان أخوه النضر بن أنس ملازما لطلب العلم.

طلبه للعلم :

كان للبيئة العلمية التي نشأ فيها الإمام مالك; ممثلة في عاصمة العلم والعلماء المدينة النبوية, وأسرته الطيبة الكريمة دورهما ِ البارز في تبكير الإمام مالك بطلب العلم منذ نعومة أظفاره; فقد روى عنه ابن وهب أنه قال:...فكنت آتي نافعا مولى ابن عمر وأنا يومئذ غلام حديث السن. فاتجه بعد حفظ القرآن الكريم -كما هي العادة في الزمن الأول-إلى طلب العلم, فاقترح على أهله: أن يذهب إلى مجالس العلماء; ليكتب العلم ويدرسه; حيث وجد من بيئته معينا, ومن أسرته مشجعا،فقد روي عنه أنه قال: كانت أمي تعممني, وتقول لي: اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه. وقد اجتهد مالك في طلب العلم, والحديث, والفقه, وغيرها من العلوم, ولزم جماعة كبيرة من العلماء والمحدثين, وكتب من العلم الشيءالكثير، وروي عنه أنه قال: كتبت بيدي مئة ألف حديث.ولم يزل الإمام مالك يطلب العلم على أولئك العلماء والأشياخ; ّ حتى تخرج بهم, وصار عالمِا ُيشار إليه بالبنان, غير أنه لم يجلس للتحديث والفتيا حتى شهد له ّ بأهليته لذلك ُ كبار شيوخه فقد روى أبو مصعب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك.

أشهر شيوخه

كان الإمام مالك شديد التحري في شيوخه, والانتقاء فيمن يتلقى عنه العلم ،ولشدة تحري الإمام مالك

وانتقائه للرواة الذين يأخذ عنهم صار من القواعد الأغلبية عند المحدثين قولهم: كل من روى عنه مالك فهو ثقة. ومع هذا التحري إلا أ ن شيوخ الإمام مالك بلغوا كثرة كاثرة،حتى قيل أن عدد شيوخه قد فاق تسعمئة شيخ; منهم ثلاثمئة من التابعين, وستمئة من تابعي التابعين, ومن أشهر شيوخِ الإمام مالك؛الذين تأثر بهم, وأكثر من ملازمتهم, والأخذ عنهم; الأئمةُ الأعلام: نافع مولى ابن عمر (ت ١١٧هـ)، ومحمد بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)ومحمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ,) وأبو الزناد عبد االله بن َذْكوان (ت١٣٠هـ)وإسحاق بن عبد االله بن أبي طلحة (ت١٣٢هـ)، وعبد االله بن أبي بكر بن حزم (ت١٣٥هـ), وزيد بن أسلم (ت١٣٦هـ), ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت١٤٣ه)-, وهشام بن عروة (ت١٤٥هـ), وعبد االله بن يزيد بنُ هُرْمز (ت١٤٨هـ) -وقد لازمه مالك ثلاث عشرة سنة-, وغيرهم كثير.

أشهر تلاميذه:

تتلمذ على الإمام مالك, وروى عنه خلق كثير لا يحصون; من أهل الحجاز, والعراق, وخراسان, واليمن, والشام, ومصر, والمغرب, والأندلس.وقد أوصلهم الد ار قطني في كتابه الرواة عن مالك بن أنس إلى نحو ألف رجل، ومن أبرز تلاميذه الذين اشتهروا بالأخذ عنه, ونقلوا علمه: محمد ابن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ,) وعبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩٠هـ)وعبد االله بن وهب (ت ١٩٧هـ), ومعن بن عيسى (ت ١٩٨هـ) وأشهب بن عبد العزيز القيسي(ت ٢٠٤هـ,) وعبد الله بن عبد الحكم(ت٢١٠هـ), وأسد بنُ الفرات (ت٢١٣هـ), وعبد الملك ابنِ الماجشون (ت٢١٤هـ,) وعبد الله بن َمسلمةَ القْعنَبي (ت٢٢١هـ,) وأصبغ بن الفرج(ت٢٢٥هـ), ويحيى بن يحيىَّ الليثي (ت٢٣٤هـ), وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري (ت٢٤٢هـ) -آخر من روى عن مالك الموطأ من الثقات-, وغيرهم كثير.

مصنَّفاته:

لم يشتهر عن الإمام مالك من المصنَّفات غير الموطأ,(وهناك مصنَّفات أخرى رواها عنه من كَتب بها إليهم, وذكرها له مترجموه; منها:

-رسالة إلى ابن وهب في القَدر, والرّد على القَدرية.

-كتاب في التفسير لغريب القرآن.

-رسالة في الأقضية, كتب بها إلى بعض القضاة.

-رسالة في الفتوى إلى أبي غسانَّ محمد بنُ مطّرف.

-رسالة إلى الليث بن سعد في إجماع أهل المدينة.

وفاته:

توفي الإمام مالك -على الأرجح- صبيحة يوم الأحد, الرابع عشر من شهر ربيع الأول, سنة تسع وسبعين ومئة للهجرة (١٧٩هـ,) وكان له يوم مات حوالي خمس وثمانين سنة, ودفن في البقيع بالمدينة النَّبوية.

أطوار المذهب ومراحله التاريخية :

مر المذهب المالكي منذ بداية تأسيسه، إلى أن نضج واكتمل بمراحل علمية مختلفة, وأطوار متعددة, ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها, وميزاتها التي تميزها عن غيرها.ويمكن تلخيص تلك الأطوار في ثلاث مراحل رئيسة:

مرحلةالنُّشوء والتَّكوين (١١٠هـ-٣٠٠هـ)

وهي مرحلة التأصيل والتأسيس, وتبدأ من جلوس إمام المذهب الإمام مالك للفتوى وتسليم الناس له بالإمامة سنة (١١٠هـ), وتنتهي بنهاية القرن الثالث, وقدُتوجت هذه المرحلة بنبوغ طائفة من تلاميذ الإمام مالك,وتلاميذ تلاميذه; منهم: عالم العراق القاضي إسماعيل بن إسحاق (ت٢٨٢هـ)مؤلف كتاب المبسوط, آخر الدواوين ظهورا في هذه المرحلة وقد تميزت هذه المرحلة بجمع الروايات والسماعات عن الإمام مالك وترتيبها, وتدوينها في مصنّفات معتمدة, تضم إلى جانبها بعض ما لتلاميذ الإمام من اجتهادات وتخريجات.ومن أهم الكتب التي في هذه المرحلة: **الأمهات الأربع, وهي:المدونة،الواضحة، العتبِية، الموازية**.

مرحلة التّطوُّر(٣٠١هـ-٦٠٠هـ)

وتبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن الرابع الهجري تقريبا, وتنتهي بنهاية القرن السادس وبداية القرن السابع, أو بوفاة ابن شاس (ت ٦١٠أو ٦١٦هـ)وهذه المرحلة تميزت بظهور نزعة الضبط والتحرير, والتمحيص والتنقيح,والتلخيص والتهذيب, مع التفريع, وكذا الترجيح لما ورد في كتب المرحلة السابقة من السماعات والروايات والأقوال; فهي بمثابة الغربلة والتمحيص لما كان في مرحلة الجمع والترتيب .ومن أشهر المصنَّفات المختصرة في هذه المرحلة: التفريع لابن الجلاب(ت٣٧٨هـ), وتهذيب المدونة للبراذعي (ت٤٣٨هـ).

مرحلة الاستقرار (٦٠١هـ ,إلى العصر الحاضر:)

وتبدأ ببداية القرن السابع الهجري تقريبا, أو بظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي; المعروف بجامع الأمهات وتستمر إلى العصر الحاضر.

وهذه المرحلة مرحلة الشروح, والمختصرات, والحواشي, والتعليقات،وهي سمة تظهر غالبا حين يصل علماء المذهب إلى قناعة فكرية بأن اجتهادات علماء المذهب السابقين لم تترك مجالاً لمزيد من الاجتهاد; إلا أن يكون اختيارا, أو اختصارا, أو شرحا.

وقد شهدت هذه المرحلة امتزاج آراء مدارس المذهب المالكّي,وانصهارها في بوتقة واحدة; أنتجت

كتبا فقهية تمثل المذهب بغض النّظر عن الانتماء المدرسي; فاندمجت الآراء العلمية في بعضها,وتلاشت الاختلافات الجذرية; إلا ما كان من قبيل الاجتهادات الفردية; التي تظهر حتى بين علماء المدرسة الواحدة.